السنة السادسة ـ العدد 1474 الاربعاء 7 صفر 1424هـ 9 نيسان (ابريل) 2003م

Azzaman Arabic Daily Newspaper Vol/6. UK. Issue 1474 - Wednesday 9/4/2003

المفكر حسن حنفي لـ(الزمان):

علينا ايصال خطابنا العقلاني الى الغرب

التجاني بولعوالي

امستردام

تقديم عام

عقدت جمعية (إحسان) الإسلامية للتنشيط الاجتماعي بمدينة (خرونينكن) الكائنة بشمال هولندا مؤتمرها الثاني تحت عنوان (تحدي التعدد الثقافي) الحوار بين الإسلام وبين العقائد والثقافات الأخرى) مؤخراً. وتضمن هذا المؤتمر أنشطة متعددة من بينها: إلقاء محاضرات متنوعة من طرف مفكرين معروفين على الصعيدين المحلي والعالمي انصبت مضامينها على الموضوع الرئيس المخصص للمؤتمر، فالموسيقى الصوفية ثم تنظيم نقاشات مختلفة المواضيع والتيمات داخل قاعات متعددة أديرت من طرف أساتذة متخصصين من مختلف المشارب والتوجهات الدينية واللادينية، حضرها جمهور من النخبة المثقفة؛ مهتمين ومتتبعين.

أثناء هذا المؤتمر ألقى المفكر الإسلامي المعاصر د. حسن حنفي محاضرة حول موضوع الإسلام والعلمانية، لقيت استحسانا منقطع النظير من لدن الجميع، نظرا إلى ما تحتويه من أفكار تقدمية جادة من شأنها أن تفعل الفكر العربي الإسلامي ليصبح أكثر انفتاحا وتجددا ومسايرة لتحولات العصر ومستجداته.

هنا ارتأينا أن نغتنم هذه الفرصة لأجراء حوارا مع د. حسن حنفي. فعرضت عليه الفكرة، فرحب بها على الفور من غير تردد برغم أنه كان منهكا من جراء السفر. فاتفقنا على إجراء الحوار أثناء استراحة الغداء.

مسيرة فكر وترحال...

يعد حسن حنفي من صفوة المفكرين الإسلاميين المعاصرين الذين انشغلوا بقضايا الفكر والواقع العربيين الإسلاميين.

من أرومة مصرية تنساب بأطياف عبقريتها عبر أرجاء كل البقاع الإسلامية وغير الإسلامية لتبث الوعي في الأذهان المبنجة، وتصدع بالحقيقة الموءودة أمام الجبابرة المستكبرين بلا اكتراث، وتهمس في آذان اليتامى والأرامل وكل المستضعفين بالتفاؤل والأمل القادمين لا محالة.

راهنا، يحيا بين السفر الدائم لإيصال بنات أفكاره وبين التدريس بجامعة القاهرة، حياته شبيهة بحياة النحل المترحل بين الحقول والبساتين والازهار.

فهو بفكره يلقح عقول الناشئة وألباب الحيارى. وصل إلي المؤتمر مباشرة من مصر مساء اليوم السابق.

وعليه التوجه بعد اختتام المؤتمر فوراً نحو مصر ومن ثم إلى الخرطوم. إنها لعمري حياة ثرية بالعطاء والحركة.

اعتقدت أن حضوره بهولندا جاء متأخرا لكن فاجأني عندما قال لي انه كان حاضرا من خلال أطروحة (فان دن بوم) وذلك عام 1982. قبل عقدين من ذلك التاريخ (1962) ناقش أطروحته بجامعة السوربون (باريس). وهذا إن عبر عن شيء إنما يعبر عن أن حياته بلا شك حياة عطاء وحركة.

عندما كنت أحادثه، كنت أطالع ملامح وجهه التي يعلوها التأمل والترحال المستديم. وفي خلدي يدور ذلك الكلام الذي تفوه به عالم المستقبليات المغربي د. المهدي المنجرة، مجيبا أحد محاوريه الذي سأله: متى يستقر المهدي؟ فرد عليه: إن الماء إذا استقر أصبح راكدا!

هكذا، إذن، أردت لأول لقائي (الذي أتمنى أن لا يكون أخيرا) بالأستاذ حسن حنفي، أن يكون لقاء معرفة وتحاور تنتفي فيه الحواجز العمرية والفكرية، فكانت ثمرته هذا الحوار البهي.

□ بداية أريد أن يكون سؤالي مرتبطا بحضوركم هنا بهولندا بالمقارنة مع الدول الغربية الأخرى؛ هل هو حضور متأخر أم غير ذلك؟

ـ في الحقيقة أنا أحضر الى هولندا باستمرار، والإسلام هنا نشيط، والمسلمون كذلك سواء من أصول مغاربية أم تركية نشطاء، بالضبط مثلما في فرنسا، ألمانيا والبلاد الاسكندنافية الشمالية.

والمسلمون في هولندا يتمتعون نسبيا بالحريات العامة. فعندما تقام ندوة أو مؤتمر تؤيده المدينة أو البلدية... ومن يدري فلربما يعاد نشر الإسلام من أوروبا.

فالإسلام هو الدين الثاني في هولندا و فرنسا و ألمانيا والبلاد الشمالية.

□ لقد حاولتم خلال محاضرتكم التقريب بين الإسلام والعلمانية، ولكن كيف ترون هل هذه الفكرة مقبولة لدى الأوساط العربية والإسلامية سواء الفكرية أم السياسية؟

ـ مقبولة لدى الأوساط الليبرالية، العقلانية والتقدمية. فأنا لا أقرب بين الإسلام والعلمانية، ولكن أنا أحاول أن أبين كيف أن الإسلام من داخله دين بلغة العصر علماني ليس برجال الدين؛ يعتمد العقل، يعتمد العلم ويعتمد حقوق الإنسان والمجتمع المدني والحرية إلى آخر ما قلت.

وبالتالي هذه أشياء موجودة داخل الشريعة الإسلامية وداخل الفكر الإسلامي وداخل التراث الإسلامي. لكنها لم تنتشر كثيرا، نظرا لسيادة الاتجاهات المحافظة الموجودة منذ الغزالي حتى الآن.

وبالتالي أنا لا آخذ العلمانية الغربية، ولكن أنا أبين أن جذور العلم والعقل والمدنية... موجودة. وهذا ما قاله محمد عبده.

فالمدنية الغربية نشأت ضد الدين في حين أن المدنية الإسلامية نشأت من داخل الدين.

جبهتان

□ ربما هذه الفكرة/الطرح التي تبدو لي جادة وجيدة قد يمكن تطبيقها هنا في الغرب. أما في الأوطان العربية أو الإسلامية فما زالت الحواجز كثيرة سواء من جهة السلطة والساسة أم من جهة بعض الاتجاهات الأصولية المحافظة.

ـ هذا صحيح. لذلك علينا أن نقوم بالمعركة في جبهتين؛ الجبهة الداخلية عندنا ضد هؤلاء المحافظين ورجال الدين الذين يبغون الحكم ويبغون السيطرة على رقاب الناس... والجبهة الغربية التي لا تريد أن تعرف من الإسلام إلا العنف والقتل والمحافظة وقطع اليد وقطع الرقاب والصلب... فنحن نحارب في الجبهتين معا من أجل بيان أن هذا الإسلام هو أيضا الإسلام الذي كان في الأندلس وغر ناطة وقرطبة وأشبيلية وطليطلة... والذي من خلاله كان العصر الذهبي لليهود والمسيحيين، وأنه لا توجد حضارة احترمت الحضارات الأخرى (اليونان والرومان غربا والهند شرقا) مثل الحضارة الإسلامية ، مع أن المسلمين كانوا فاتحين ولكنهم احترموا ثقافات الشعوب المفتوحة وعظموها! سقراط أحكم البشر، أرسطو المعلم الأول، أفلاطون صاحب الرأي والنور، جالينوز أفضل المتقدمين والمتأخرين... اعتزازا بالثقافات الأخرى. لذلك القرآن الكريم حريص على ذلك؛ (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) وليس لتحاربوا!

□ فكرة أخرى؛ لقد تحدثتم عن هذا النوع من الاحترام الذي كنه الإسلام للاقليات التي كانت تعيش في كنف الدولة الإسلامية، وهذا يعني بذاته تقبل الحوار مع الآخر. ربما هذا اليوم الدراسي الذي يدور حول تحدي التعدد الثقافي والحوار الثقافي يحاول أن يعود على بدء فيسترجع تلك الأفكار القديمة التي تنطوي عليها الحضارة الإسلامية. كيف تقيمون هذه المبادرة التي تقوم بها جمعية (إحسان للتنشيط الاجتماعي)؟

ـ بطبيعة الحال الإسلام لا يعترف بمفهوم الأقلية والأغلبية، فهذا مفهوم تسلطي.

والمفهوم الذي تقوم عليه الديمقراطية الغربية؛ انه إذا نجحت الأغلبية لها السيطرة والإرادة على حقوق الأقليات.

الإسلام يعترف بما يسمى الاتفاق بين الطوائف والملل والاتجاهات والثقافات في إطار من المساواة في الحقوق والواجبات وعدم العدوان. فاليهود أمة والنصرانية أمة والإسلام أمة.

والكل يدخل ويعيش في كنف الدولة الإسلامية، وكل أمة لها أن تحكم بشريعتها كما كان الحال في الأندلس وفي ميثاق المدينة حينما اعترف الرسول في دستور المدينة الأول باليهود والنصارى والصابئة والمجوس والمسلمين.

بل إن اليهود كانوا يأتون إلى المحاكم الإسلامية لأنها تقوم على العدل والإنصاف أكثر مما يذهبون إلى المحاكم اليهودية.

فالأمة الإسلامية أمة متعددة الطوائف والثقافات واللغات والألسنة والمناهج... وكل ذلك في إطار الإيمان والعمل الصالح؛ يعني أنك تؤمن بمن تشاء، لكن ما يهم هو العمل الصالح والمصالح العامة التي هي مصدر الشريعة الإسلامية.

□ إذن، هذه المبادرة أو مكتسبات هذا اليوم هي في صالح الإسلام. كما يبدو نرى أن هناك الكثير من المواقف الإيجابية حول الإسلام سواء من قبل المحاضرين أو من طرف المهتمين والمتتبعين؟

ـ بطبيعة الحال. لأن للأسف الذي يظهره الإعلام الغربي إما الزواهري أو أسامة بن لادن أو المصري. وكل هؤلاء الذين يعيشون في الغرب باسم الإسلام، ويحاولون تحويل الإسلام إلى سلطة وانقلاب وعنف... ويقال عندما سقطت المركبة الفضائية كولومبيا أن هذا بناء على دعاء المسلمين!

إن الغرب يعمل العلم ونحن نستدعي الله على العلماء ونشمت في الضحايا!

أقول، اذن، لكن الغرب لا يهتم، فكثير من المفكرين الإصلاحيين الليبراليين موجودون هنا وهناك. والغرب لا يهتم بهم لأنهم يقولون إننا غربيون، إننا ليبراليون، إننا عقلانيون، إننا امتداد للغرب، فكل شئ حسن موجود في الغرب، وكل شيء سيئ موجود عندنا.

فهذه أهمية أن يسمع الغرب الخطاب البديل الموجود. لكن الغرب مهتم بما يسمى بالخطاب الأصولي. فثمة خطاب أصولي وثمة خطاب ما بعد أصولي.

ماذا يعني أن الغرب يتحدث عما بعد الحداثة. فنحن كذلك عندنا خطاب ما بعد الأصولية. ذلك هو الإسلام الليبرالي الذي يقبل التعددية الحزبية والدخول في الانتخابات، وحسب اللعبة الديمقراطية الحديثة و(لا إكراه في الدين) وهذا جزء من التيار الإسلامي الذي جدده المعتزلة وابن رشد.

□ على ذكر الإعلام الغربي الذي يتخذ على العموم مواقف ظالمة من الإسلام والمسلمين. نشاهد الآن أمريكا وقد احتلت العراق. لقد بدأت بأفغانستان والآن العراق، ربما غدا سوف تصل إلى دول أخرى.

كيف تنظرون الآن إلى الجو العام والى الجغرافيا الإسلامية والى الموقف الأوروبي و العربي/الإسلامي وكذلك إلى الشعوب الإسلامية التي تتحدى... دون نسيان موقف الصحوة الإسلامية؛ ذلك الصوت الخافت الذي يدوي من حين إلى آخر؟

ـ نعم، في الحقيقة نحن نحزن ونخجل من أنفسنا.

يعني يوم 15 شباط (فبراير) الماضي 14 مليون أوروبي يتظاهرون من أجل قضايانا وقضايا فلسطين والعراق. ونحن في البلدان العربية لو خرج ألف في ميدان السيدة زينب التف حولهم ثلاثة آلاف شرطي وعسكري؛ لكل مواطن ثلاث من العساكر! فنحن خجلون... ونحن مقهورون من حكامنا ومقهورون من الغرب...

□ (مقاطعا) ومقهورون من أنفسنا!

ـ وبالتالي كنا نتساءل ألا يستطيع مليار و 250 مليون من المسلمين (وحتى في إسرائيل خرجت مظاهرة فيها 50 ألف مشارك!) أن يقوموا ضد الحرب وضد أمريكا وهي أكبر معاون للكيان الصهيوني... وبالتالي معركتنا صعبة، علينا أن ندخل في الجبهتين معا؛ الجبهة الداخلية والجبهة الخارجية لكن دفاعا عن الكرامة العربية ودفاعا عن التاريخ العربي ودفاعا عن...من منا يقبل أي نظام دكتاتوري، لكن أن نتحرر بأيدينا وليس على ألسنة ورماح الغير وعلى فوهات مدافع الغير وطائرات الغير. وإلا فستدور الدائرة على الكل، وسيدخل الجميع بيت الطاعة.

□ ككلمة أخيرة، الأستاذ حسن حنفي، موجهة إلى المسلمين بهولندا بخصوص التعايش بينهم وبين إخوانهم من الديانات الأخرى.

ـ ألا ينعزلوا على أنفسهم، ويكونوا (جيتو) إسلامياً، والا يشعروا الهولنديين بأنهم غرباء، وألا يندمجوا فيهم ويقلدوهم ويمارسون ما يفعلون من المخدرات والشذوذ الجنسي... فعليهم حسن المعاشرة وحب الجار والدقة في العمل واللباس النظيف والاعتزاز بالعلم والثقافة والحوار مع الآخر.

السلوك الإسلامي في هولندا أكبر قادر على تحويل المجتمع الهولندي الذي تسيطر عليه الصهيونية بأجهزة الإعلام إلى ثقافة تحترم الإسلام وتعترف بقيمة المسلم، كما كان المسلم زمان يذهب إلى اندونيسيا وماليزيا، يصلي ويصوم ويعطف على الجار ويساعد الضعيف ويرعى المصالح.

فيأتي السلطان ويدخل في الإسلام ويتزوج أولاد السلطان وتدخل القبائل كلها في الإسلام عن طريق المصاهرة والسلوك.

فأرجو أن يكون الاخوة المسلمون في هولندا في طليعة هؤلاء. وأنا متفائل جدا.

لهم نشاط وثقافة ومعرفة ودراية... ولهم كذلك أن يرتبطوا بالوطن الأم وأن يكونوا كذلك قادرين على التعبير على صوت الإسلام.

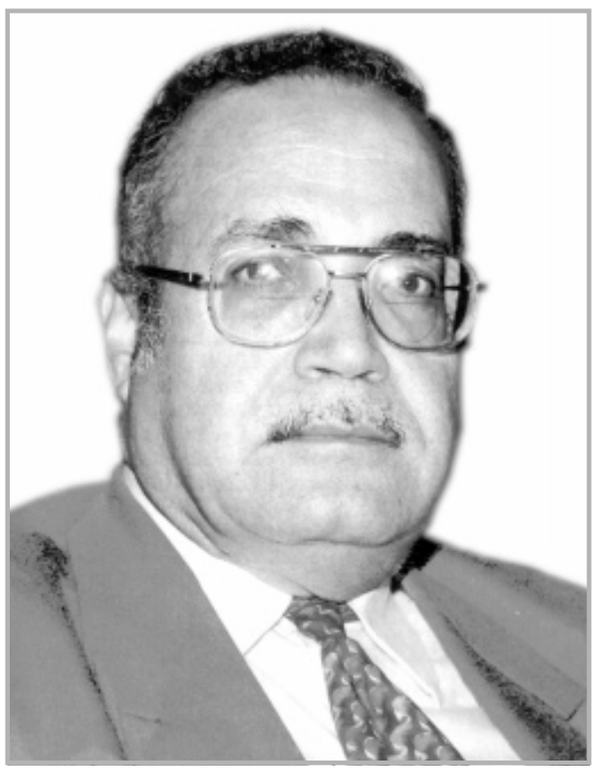

د. حسن حنفي

السلوك الإسلامي في هولندا أكبر قادر على تحويل المجتمع الهولندي الذي تسيطر عليه الصهيونية بأجهزة الإعلام إلى ثقافة تحترم الإسلام وتعترف بقيمة المسلم، كما كان المسلم زمان يذهب إلى اندونيسيا وماليزيا، يصلي ويصوم ويعطف على الجار ويساعد الضعيف ويرعى المصالح. فيأتي السلطان ويدخل في الإسلام ويتزوج أولاد السلطان وتدخل القبائل كلها في الإسلام عن طريق المصاهرة والسلوك. فأرجو أن يكون الاخوة المسلمون في هولندا في طليعة هؤلاء. وأنا متفائل جدا

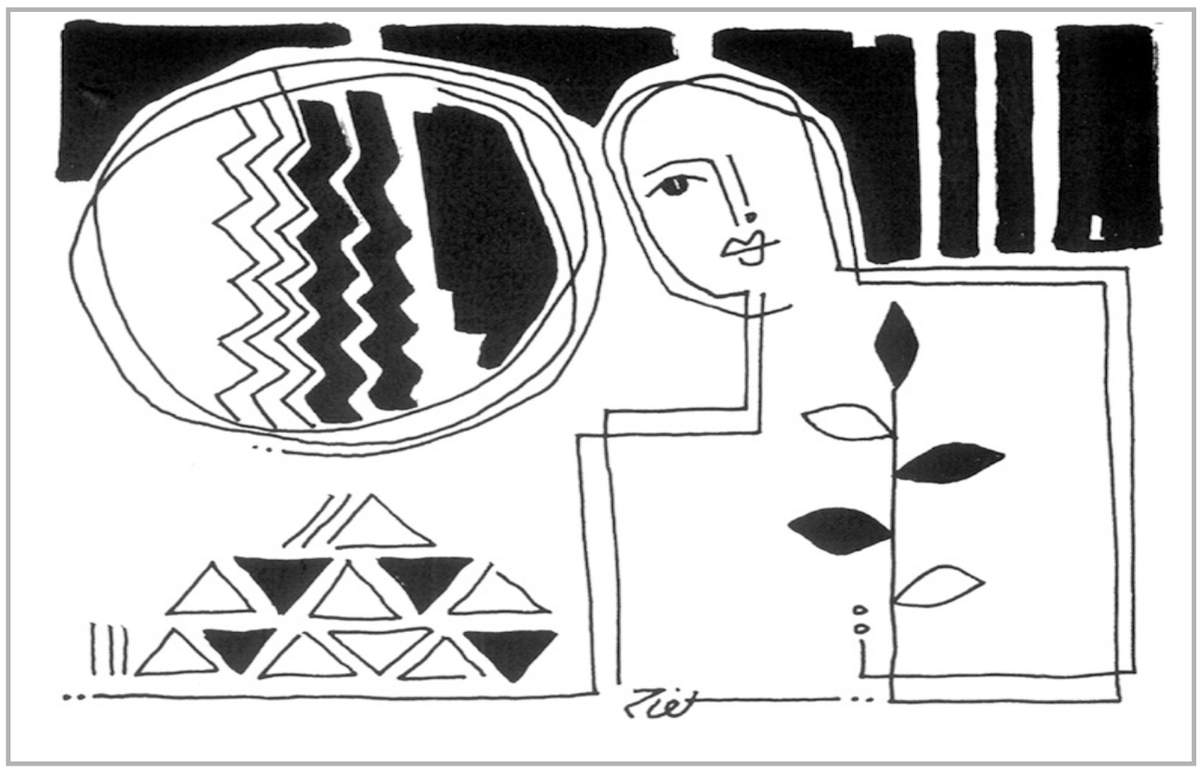

موال

رحلة سرد أمريكا بين ابن بطوطة وابن فطومة

عبده خال

روائي من السعودية

أخذت العودة للتراث السردي تتصاعد وتيرتها في العقود الأخيرة من القرن العشرين بغية تجاوز النموذج السردي الغربي الذي ظل القالب المهيمن والذي تصب فيه التجارب الروائية العربية.ويمكن ان نعد محاولة الأجيال الروائية المعاصرة هي الأكثر إصرارا على تشكيل نص سردي عربي له مقومات المعاصرة، غير انه يتكئ على جذور سردية لايمكن إغفالها.

والفرق بين محاولة جيل الرواد من كتاب المقامة وبين الأجيال المعاصرة هو الانتقال من المحاكاة الى التوظيف،ومن التقليد إلى الإضافة.

فلم يكن الروائيون المعاصرون خاضعين لسلطة النص التراثي، ولم يكونوا كذلك مأخوذين بجدة النموذج الغربي وهيمنته.فقد سلكوا طريقا يأخذ روحه من تراث العرب السردي بينما يستأنس بارتداء بعض تقنيات الشكل الغربي التي تضيف ولا تعيق نمو التجربة فلقد شكل النص التراثي الروائي المعاصر علامة فارقة في تجربة الرواية العربية الحديثة،ولاشك أنه يحتاج الى بعض الوقت ليأخذ شكله الخاص وتأثيره على السياق الروائي العربي لاحقا.

بهذه المقدمة ـ المفرطة بعض الشيء ـ يمكن التداخل مع الدكتور حسن النعمي في بحثه

(رحلة السرد..سرد الرحلة قراءة في رحلتين) والذي تناول فيه العلاقة التناصية بين رحلة ابن بطوطة ورحلة ابن فطومة لنجيب محفوظ حيث يرى الدكتور النعمي أن من اللافت للانتباه مغامرة نجيب محفوظ مع الصيغ السردية التراثية مقدما لتلك التجربة بان محفوظ ظل يعزف على ايقاع من تنويعات الشكل الروائي الغربي زمنا طويلا قبل ان يلتفت الى الشكل التراثي في مرحلة الثمانينات.

ومن هنا ينبع سؤال منطقي يتمثل في :

1 ـ لماذا هذا الاهتمام المتأخر بالتراث السردي من قبل محفوظ؟

إن من يتأمل تجربة محفوظ الروائية سيلحظ تنويعاته المستمرة على الشكل برغم أنها تنويعات ضمن النموذج الغربي، وهذا أوصل محفوظ الى قناعة بان النموذج الغربي قد استنفذ حضوره الجمالي والدلالي ومن هنا ياتي اقتراب محفوظ من التراث السردي بغية الاستفادة من تقنياته وخصوصياته.

وبرغم ان التفاته نجيب للتراث السردي جاءت متأخرة نسبيا الا انها جاءت واعية بكيفية تاصيل الرواية العربية.

وفي هذا السياق يكتب نجيب محفوظ رواية ليالي ألف ليلة وملحمة الحرافيش ورواية رحلة ابن فطومة والتي يتخذ منها الباحث محورا لحديثه لخلق التناص ما بينها وبين رحلة ابن بطوطة مفتتحا بتقرير أن محفوظ رغم قلة اسهامه في هذا الجانب إلا انه يسجل نقطة مهمة لمعاصريه حول اهمية الالتفات الى التراث السردي وتطوير آليات سردية تضيف للمشهد الروائي العربي وتؤكد خصوصيته.

ويقدم الدكتور النعمي تساؤلا مبكرا قبل الولوج الى الدراسة التناصية بين الرحلتين:

2 ـ ما الذي يوجد في رحلة ابن بطوطة حتى تستثير نجيب محفوظ لدرجة كتابة روايته رحلة ابن فطومة؟.. هل يتمثل ذلك في طبيعتها النصية القائمة على قدر كبير من وصف الحداث الغريبة؟ أم أنه أمر له علاقة بابن بطوطة (ذلك الرجل الذي يبدو شخصية سردية بحد ذاته.؟ خاصة إذا عرفنا أن رحلة ابن بطوطة ليست أي رحلة. فهي رحلة تعيد تركيب الزمان والمكان وفق رؤية انتقائية مما يجعلها أقرب للفعل الروائي.

ولذلك يرى الناقد النعمي أن مفهوم الواقع والخيال في سياق رحلة ابن بطوطة يصبح حالة ملتبسة فليس كل ما يرويه هو الواقع لكنه في الوقت نفسه ليس مطلق الخيال فهي رحلة بين بين،رحلة مكتوبة بعد تمام الرحلة.

ويؤكد أن نص ابن بطوطة كان مثيرا لنجيب محفوظ وقبل هذا التأكيد: هل نسأل الدكتور النعمي : هل كان محفوظ يبحث عن شكل ما؟ ام انه وجد في شكل الرحلة ما يحقق فكرة إلغاء المكان والزمان بمعناهما الواقعي؟ وهذه الاسئلة تصلح كمقدمات افتراضية تتيح الدخول الى العلاقة النصية بين الرحلتين.

فمن باب التناص يستطيع الدارس قراءة الدلالة الفلسفية لرواية رحلة ابن فطومة التي أخذت من رحلة ابن بطوطة شكلها لكنها تجاوزت ذلك الى تطويع الشكل ليكون قادرا على استيعاب نص ينقض وحدة الزمان والمكان.. برغم ان الرواية تسعى الى الايهام بتاريخية الرحلة وتطورها وفقا لزمن تصاعدي، فإنها تتعامل مع الزمن بوصفه وحدات حضارية كبرى من شانها أن توحى بمرجعية زمنية تتكشف عبر سياق الأحداث.

فاصلة :

أعلم أني اكتب خارج الوقت، خارج الدمار الأمريكي، ليس على مستوى الحرب الدائرة الآن ولكن خارج الزمن برمته الذي أرادت أمريكا صياغته منفردة، فعلينا جميعا ان نعود لكتبنا ومصطلحاتنا الفكرية والثقافية ونضرم النار في تلك الأوراق.

نحن الان في فاصلة زمنية جديدة تتكون ليس فيها شيء مما أمنا به سابقا او كفرنا..

نحن في زمن يتخلق، زمن جديد لازال يكتب ونحتاج الى أشكال سردية حديثة تستوعب الصيغ المملاة علينا.. ولأني ابن ثقافة تستلهم امجادها الماضوية اخترت الكتابة عن رحلة ابن بطوطة وابن فطومة.

abdokhal@hotmail.com